

النيل

مصر هدية من النيل
(هيرودت)

اسم النيل مأخوذ عن اليونان واصل الكلمة في لغتهم « نيلوس » واصل اليونان اخذوها عن الفينقيين او الحثيين او عن القبائل التي كانت في لوبيا او في آسيا الصغرى . اما اسمه عند المصريين بصفته مقدساً فهو « جمبى » وإن اخرجوه عن الالهية سموه « يومع » ومعناه اليم . او سموه النهر الكبير « أور » ويؤخذ من الرسوم القديمة انه كان يكنى بابي الارباب ، ورب الغذاء ، ومخرج المأكولات بخصبه ، ومالى القطرين بمحصولاته ، ومناخ الحياة ، ومزيل المجاعة الخ . وحقاً ان النيل لكذلك

وهو يحدث في مصر ثلاث هيئات : الاولى زمن الفيضان ، فتصبح فيه مدن مصر جزائر وارضها انهاراً ولكن ذلك سيزول بمشروعات الري الجديدة . والثانية زمن الانحسار ، فتكون فيه كجثة اغراسها نضرة ومزارعها يانعة خضرة . والثالثة زمن التحريق فتكون الارض فيه قحلة جدبة عليها غبرة . ولقد اصاب احد شعراء العرب اذ قال :

كانَّ النيلَ ذو فهمٍ ولبٍّ لما يدولعين الناس منه
فياي حين حاجتهم اليه ويمضي حين يستغنون عنه

وقال ابو الحسين المعروف بابن الوزير مشيراً الى ما ينجم عن الفيضان من الخيرات :

أرى ابداً كثيراً من قليلٍ وبدراً في الحتيقة من هلالٍ
فلا تعجب فكلُّ خليجٍ ماءً بمصر مسببٌ لخليجٍ مالٍ
زيادة إصبعٍ في كل يومٍ زيادة أذرعٍ في حسن حالٍ

عيد النيل

وكانوا يحتفلون قديماً بعيد النيل احتفالاً عظيماً ، فاذا جاء الانقلاب الصيفي واتي الماء المقدس من اجباب اسوان الى جبل السلسلة قامت القسوس المقيمة في هذا الجبل او الملك الحاكم او ابنه فيتقرب بثور او بأوز ، ثم يلقى في الماء قرطاساً مختوماً من البردى يشتمل على امرٍ فيه اطلاق الحرية له بالزيادة ، لكي يضمن لمصر الخير بفيضانٍ معتدل وكانوا يعتنون بهذا العيد رعايةً للرؤية القديمة القائلة ان سعادة السنة او شقاءها موقوف على ذلك المهرجان ، فان حصل منهم في شأنه اهمالٌ او توانٍ ، رفض النيل الامر الصادر اليه ، واغرق الاراضي والجهات . وفي هذا الموسم كان الفلاحون يأتون بالزاد وياكلون معاً اياماً متوالية ويشربون حتى يشلوا . ويستمررون على ذلك حتى يأتي يوم الموسم الكبير ، فتخرج حينئذ القسوس من المحراب وبينهم تمثال فيزفونه على الشاطئ بالالخان والاصوات المطربة والترتيل والمدائح وصدح الآلات الموسيقية فيقولون ما ملخصه :

« السلام عليك ايها النيل ، يامن ظهرت على هذه الارض واتيت لاحياء مصر ، انت الذي يمتحن مجيئك في الغياهب الى يوم الترتيل بقدمك أنت البحر المفيض بمياهك على البساتين التي اوجدتها الشمس لنا لتحيي جميع ما يكون في شرق . انت صانع القمح وموجد الشعير ومطيل اجل المعابد . ان تعطلت اصابعك او اعتراك كساد ، اصبحت الالوف من الناس في فاقة . وان تقصت وقت نزولك من السماء ، أفنيت المعبودات والخلق ، وتكدرت الحيوانات وصارت الارض كباراً وصغاراً في عذاب . واذا كانت الحال على عكس ذلك واستجيب دعاء الناس تصيب الارض ابتهاجاً ، وينشرح كل ذي بطن ، ويهتز كل ظهر من الضحك . . . يا مجلب

الارزاق ومكثراً المأكولات ، انت الذي يوجد غلاف الحيوانات ، ويعطى كل ما لزم لقرايين المعبودات ، انت الذي يهتم بالقطرين فتمتلي ، المخازن وتزداد خيرات الفقراء ، انت الذي يستجيب دعاءهم عند تقديم الندور فلا ينقصهم شيء واذا دخلت كنت محاطاً بالاغاني ، واذا خرجت صاحبتك التهليل ، واذا رقصوا فرحاً يوم ظهورك من غياهب مكنك فما ذلك الا لكون عجزك اضمحلال لهم وفساد ومتى تضرعوا اليك لينالوا الماء السنوي شوهد اهالي مصر الوسطى واهالي الوجه البحري مصطفين بعضهم بجانب بعض ، وكان كل امرئ حاملاً لعدد صنعتته ولا ينزوي احد وراء جاره انت منبت الارزاق الحقيقية التي هي رغبة الناس هذا هو كلام الالتماس الذي يجعلك مجيباً لدعائهم واذا تكلمت بلجج المحيط السماوي على الانسانية قدم « نبري » معبود الحب عندئذ قربانه وسجدت لك كل المعبودات قاطبة . ومتى عجن يداك شيئاً صار ذهباً ، او طوبه صارت فضة . لا يوكل اللازورد لكن القمح افضل من الاحجار الكريمة . لقد شرعوا في الاغاني على العود ، واخذوا يرتلون لك بتصفيق مستمر لتبتهج من اجلك ذراري اولادك ، وليكثروا من اجلك تراتيل المدح ، كيف لا والنيل هو اله الثروة ، وهو الذي يحيي قلوب النساء الجبالي . ولو تأخر عن اعطاء الغذاء ، لزال السعادة من المساكن ، ووقعت الارض في ضعف شديد

ولا يزال المصريون حتى اليوم يحتفلون احتفالاً عظيماً بما يسمونه « وفاء النيل » ولقد جرى الاحتفال هذا العام في ٢٥ اغسطس (آب) الماضي بالابهة المعتادة :